الكتاب السابع

«مع القرآن فى الكون»

تأليف: أ. د. محمد جمال الدين الفندى **عرض: أ. د. كارم السيد غنيم**

صدر كتاب «مع القرآن فى الكون» لمؤلفه أ. د. محمد جمال الدين الفندى ـ رحمه الله ـ فى طبعته الأولى عن الهيئة المصرية العامة للكتاب فى عام ١٩٩٢م. يقع الكتاب فى (٢١٠) صفحة من القطع الكبير، وينتظم تقديمًا وواحدًا وثلاثين مبحثًا، وقائمة بكتب المؤلف المنشورة، وفهرسًا للموضوعات. والمؤلف معروف لقطاع كبير من المثقفين والقارئين بالعربية، إضافة إلى وجود عدد من الكتب التى وضعها ـ رحمة الله عليه ـ باللغة الإنجليزية، وجميعها فى مجال تخصصه (وهو علم الفلك والأرصاد الجوية) أو توظيف هذا التخصص فى شرح الآيات القرآنية، وهو ما يطلق عليه معظم الناس (الإعجاز العلمى للقرآن الكريم). ويعد المؤلف واحدًا من رواد القرن العشرين فى هذه الدراسات، وبالرغم من حبنا له وإجلالنا لقدره ودعائنا له بالرحمة والغفران وفسيح الجنان، إلا أننا سنحاول عرض الكتاب الحالى ـ كما تعودنا دائمًا ـ بحيدة تامة، وليس لنا سوى مصلحة القارئ وإظهار الصواب وإجلائه.

يبدو أن الكتاب كان فى الأصل مجموعة من المقالات نشرها صاحبها فى بعض المجلات الإسلامية، وهو أشبه ما يكون بسباحة فى أعماق الآيات الكونية الواردة بالقرآن (أو أعماق الإعجاز العلمى للقرآن ـ كما تكررت إشارة المؤلف إلى هذا فى

صدر العديد من مباحث الكتاب). ويستهدف المؤلف من هذا الكتاب بيان حديث القرآن الكريم (كتاب الله المسطور) بأسلوب معجز:

١ ـ عن الكون (كتاب الله المنظور) الزاخر بآيات الخلق الدالة على وحدانية الخالق وعظيم قدرته وشمول تدبيره وتقديره فى كل شىء.

٢ ـ دحض فرية الصدفة.

٣ ـ حث المسلمين (أو تحميلهم مسئولية) على التدبر فى آيات القرآن، والبحث والتنقيب فى آيات الكون واستنباط أسرارها.

كما بين المؤلف فى التقديم أيضًا ما حدث للمسلمين حين أدركوا حقيقة الإسلام، وأن الغرب حين أخذ بمبادئ العلم فى الإسلام نهض وساد.

أول مباحث الكتاب كان بعنوان: «القرآن الكريم هضم كل ما جد من حقائق العلم منذ نزل»، ونرى أن العنوان المناسب له هو «مستجدات الحقائق العلمية فى القرآن» أو «توسع الكون». ورجع المؤلف فيه إلى النص القرآنى ٣ ـ ٦ من سورة الجاثية، وماذا يوضحه هذا النص الكريم، وألقى اللوم على أنصاف المثقفين الذين يخوضون بأقلامهم فى موضوعات الإعجاز العلمى فى القرآن دون ضوابط أو منهج، وبذلك يرتكبون أخطاء يبرأ الإسلام منها، وحملوا الآيات من المعانى ما لا طاقة لها به. وقد أوضح منهجه فى وضع هذا الكتاب، وهو تتبع حقائق العلم المستمدة من الرصد والتتبع لظواهر الكون، وعدم اللجوء إلى النظريات العلمية المتطورة. أما مضمون هذا المبحث فهو هضم القرآن الكريم لكافة مفاهيم البشر العلمية السليمة منذ نزل، وهى صفة من صفات هذه المعجزة الخالدة التى لا يقف إعجازها عند عصر معين، وسوف تلازمه هذه الصفة إلى يوم الدين.

و﴿إِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، هى النقطة التى تناولها المؤلف بالتفصيل، فعرض آراء المفسرين القدامى والمحدثين، ثم أضاف رؤيته الشخصية فى فهمها، وأوضح كيف أن أرصاد المجرات دلت أخيرًا على أنها تتباعد عن بعضها بسرعات متزايدة، وبالتالى فإن الكون يتسع ويتمدد، وهو معنى جديد تدل عليه معادلات النسبية الرياضية. وفى خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين اتسعت المجموعة الشمسية ـ مثلاً ـ أربع

مرات، وقد اكتشف هذا فى الأعوام: ١٧٨١، ١٨٦٤، ١٩٣٠، ١٩٧٢م. وقدم معلومات عن كوكب بلوتو، وعلاقته بكوكب نبتون، وقانون «بود» لقياس أبعاد الكواكب عن الشمس، ورصد مذنب هالى وفائدته فى معرفة الكوكب العاشر فى المجموعة الشمسية.

وفى المبحث الثانى «وعنوانه: القرآن كتاب متجدد إعجازه إلى يوم الدين» تحدث المؤلف عن «الرياح اللواقح»، وقد مهد لها بعدد من النقاط مثل: أساس العلم التجريبى، والسخرية من طلب الخوارق الحسية من رسول الله ﷺ، وواجب العلماء الأكفاء نحو الأعماق العلمية فى القرآن، ثم دخل فى العمق الخاص بالمبحث الحالى وهو «الرياح اللواقح»، وقدم آراء المفسرين القدامى فى كلمة «لواقح»، وعرض رأيه الشخصى فى فهمها، وهو تلقيح السحاب بنوى التكاثف، وفى هذا الإطار أكد أن القرآن هو أول كتاب دينى يقرر حقيقة تكوين السحب. كما أشار إلى حقيقة الدورة المائية، إضافة إلى الحقيقتين:

١ ـ تلقيح الرياح للسحب بنوى التكاثف.

٢ ـ نزول المطر يحدث نتيجة تلقيح الرياح للسحاب، وقد رجع فى هذا إلى نصوص قرآنية، مثل قول الله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾ (الحجر: ٢٢).

جاء المبحث الثالث بعنوان «استبعاد عنصر الصدفة فى الكون»، ولكن العنوان المناسب ـ بعد مطالعتنا لمحتوى المبحث ـ هو: «الغلاف الجوى الأرضى»، أو «السقف المرفوع»، أو «السقف المحفوظ». ودار حديث المؤلف حول قول الله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ**﴾ (الأنبياء: ٣٢)، فعرض المعنى اللغوى للسماء، وشرح كيف أن القبة السماوية تبدو ليلاً مرصعة بالنجوم، وأن القبة الزرقاء التى نراها فوق رءوسنا أثناء الليل عبارة عن ظاهرة ضوئية تحدث فى هواء الأرض أو غلافها الجوى السفلى الذى يرتفع إلى علو نحو ٢٠٠ كليومتر فقط، فوق سطح الأرض. وبين ظلمة السماء، وقد توصل رواد الفضاء إلى هذا، وقد أوضحه النص

القرآني: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ (الحجر: ١٤ ـ ١٥). وشرح المؤلف أيضًا كيفية الإمساك بالغلاف الجوى للأرض، ثم عدد أهم فوائد وخدمات الغلاف الجوى، وعرج فى كلامه على ظاهرة ضيق الصدر بالصعود فى طبقات الجو.

ثم جاء المبحث الرابع بعنوان: «تفصيل بعض ظواهر الكون».

وردت آية الركام (وهى الآية ٤٣ من سورة النور) فى صدر المبحث، وبين المؤلف عقبها أنواع السحب، الركامية، والطبقية، وكيف أن القرآن هو أول كتاب على الإطلاق بين هذين النوعين بآيات معجزة فى مثل قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (الروم: ٤٨)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ (النور: ٤٣). وشرح دور الرياح فى تحريك السحب وتلقيحها، وكيف أن المطر هو مصدر المياه العذبة، وعرض حقائق علمية مستنبطة من آية الركام، وأشار إلى أن البَرَد يختلف عن الثلج، وكيف يحدث البرق فى المزن (السحاب) الركامى.

وأما المبحث الخامس فعنوانه «تكامل الآيات وترابطها»، والعنوان الذى نراه أدق هو «فى الجبال الرواسى»، وقد ابتدأ بالإشارة إلى مظاهر سطح الأرض، وأن الجبال مأوى الإنسان (٨٢ الحجر، ٨١ النحل)، والمفهوم الجيولوجى للجبال، وعلاقة الجبال الشاهقة بالمطر (١٠ فصلت)، ثم دلف إلى «وتدية الجبال» (٧ النبأ)، وكيف أن الجبال تحفظ توازن قشرة الأرض (٣١ الأنبياء). وفى معرض حديثه عن الجبال، مر المؤلف بألوان الجبال وكيف تستمدها من صخورها (٢٧ فاطر)، وحركة الجبال وكيف أنها كحركة السحب، وشرح هذا التشبيه العلمى البليغ، وأشار إلى ابن الشاطر (وهو عالم مسلم من علماء الحضارة العربية الإسلامية) قال بمركزية الشمس للمجموعة الشمسية قبل كوبرنيكوس، وبعد المرور ببعض فوائد الجبال، انتهى المؤلف إلى أن هناك ٣٨ آية تذكر الجبال، إضافة إلى ٩ آيات تذكر الرواسى، ويدل هذان الرقمان على المدى الواسع الذى به استمد القرآن كثيرًا من آياته وحكمه وأمثاله من الكون، كتاب الله المنظور.

هناك عمق من أعماق الإعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز يتصل بالإخبار الصادق عن الغيب، سواء من حيث الزمان وسبق الحوادث، أم من حيث المكان وصدق الوصف لما لم تره العين، أو ما لم يصل إليه الإنسان. ويعنى هذا أن القرآن جاء بمعرفة مسبقة لما لدى الناس من علوم، وسبق بذلك أحداث الكشف العلمى والتاريخ. كان هذا صدر المبحث السادس الذى تحدث المؤلف فيه عن الإخبار بالغيب من حيث الزمان والمكان، وضرب فيه أمثلة للإخبار بالغيب المكانى (٢ ـ ٤ الروم، ١٣ الصف، ٢٩ الشورى، ٤٩ النحل، ٢٩ الرحمن)، وأشار إلى محاولات الإنسان للتعرف على وجود مذنبات خارج المجموعة الشمسية.. ومن أجل الكشف عن الآيات المنبثة فى الكون علينا أن نسلك طريقين فى آن واحد:

الأول: طريق الرصد والتتبع والقياس.

الثانى: طريق الفهم والإدراك لتلك الأرصاد، باستخدام قوى العقل.. ومهما يكن من شىء فإننا عن طريق التأمل والقياس، واستخدام المنطق السليم، نستطيع الوصول إلى آفاق واسعة، وهكذا يمهد العلماء الطريق إلى المستقبل.

ومجمل القول: إنه توجد كواكب أخرى (غير أرضنا) مسكونة داخل نطاق مجرتنا (الطريق اللبنى)، وإن نسبة كبيرة من تلك الكواكب مجتمعاتها على بينة من أمر بعضها، خصوصًا بالقرب من مركز المجرة، حيث تكدست مادة الأصل وتقاربت النجوم، أو الشموس.

المبحث السابع فى إظهار حقيقة أجرام السماء لكيلا تعبد، وقد وردت الشمس كجرم سماوى فى أوله، وهو أهم الأجرام بالنسبة لنا. جريان الشمس، ضوء الشمس (ونور القمر)، القرآن يضع الحد لتقديس أجرام السماء أو التقرب بها إلى الله (٧٦ـ٧٨ الأنعام، ٣٧ فصلت)، أصل مادة الشمس، عمر الشمس، ضوء النهار، الاستفادة من الطاقة الشمسية، عملية البناء الضوئى، الطاقة الحرارية للشمس، البقع الشمسية وظاهرة الفجر القطبى، المراحل التى تمر بها الشمس إلى وفاتها (١ التكوير، ٣٨ يس)..

كانت هذه نقاط المبحث الذى ختمه المؤلف بالنصين القرآنيين: (١٠ الدخان، ٧ـ ١٠ القيامة).

أما تعريف العلم الطبيعى وتحديد إطاره وتوضيح أساسه، فهو موضوع المبحث الثامن، الذى طالعنا فيه القاسم المشترك بين المعرفة الدينية والعلم الطبيعى، والفرق بين الظاهرة، والحقيقة، وأهم خصائص الطريقة العلمية، ومتى يتم قبول الحقيقة العلمية، والفرق بين القانون العلمى والحقيقة المطلقة، وكيف نصوغ نظرية علمية، وضرورة عدم الاعتماد على النظريات العلمية فى شرح الآيات القرآنية وتفسيرها. . وبعد توضيح هذه النقاط انبرى صاحب الكتاب يشرح التركيب الأساسى للمادة، وإحدى أهم خصائص المجرات والسدم، وأشار إلى توسع (تمدد) الكون، وأصله، وعمره، وأين يتم التفاعل بين المادة والفراغ.

أول كتاب يرفع من قدر العلم والعلماء هو القرآن الكريم، وهذا موضوع المبحث التاسع الذى حدد فيه المؤلف مصادر العلم، وهى: الدين وأساسه القرآن، وطريق العلم الطبيعى (التجربة والقياس والرصد والتتبع لما فى الكون). ولا دخل للعلم الطبيعى بعالم ما وراء الحس، والعلم الطبيعى جزء لا يتجزأ من رسالة الإسلام الخالدة. ثم استشهد المؤلف بآيات قرآنية على أن الإسلام يدعو إلى الأخذ بالعلم الطبيعى، وأن القرآن يفرق بين مجرد الظن والوهم والخيال وبين الحق واليقين (أو العلم)، وأن البحث العلمى هو السبيل إلى اتساع آفاق العلم وتقدمه، وضرورة عدم الوقوف عند ما قاله المجتهدون الأوائل من العلماء. وبعد هذا طالعنا حقيقة تاريخية هى: إرساء علماء المسلمين لقواعد العلم التجريبى فى العالم، وخطورة الخلط بين عالم الحس وعالم ما وراء الحس.

كان عنوان المبحث العاشر هو: «الله موجب الوجود»، وقد بدأه المؤلف بأن وجود الله حقيقة علمية ومسلمة عقلية، ثم قدم عدداً من البديهيات العقلية التى يجب التسليم بها، معتمداً على النصوص القرآنية: (٢٦: الرحمن، ٢١: فاطر، ٧٨: يس، ٨٤: الكهف، ٣: الحديد، ١١: الشورى، ٨٨: القصص، ١٠٣: الأنعام)، وغيرها. ثم دخل فى رحاب أسماء الله الحسنى، وطاف ببعضها سريعًا، ووصل إلى أن الثبات خاصية فى نظام بناء الكون، ثم أجاب عن السؤال: لماذا ضل الإنسان، فاتخذ آلهة يعبدها من دون الله؟

«العدد والحساب فى القرآن الكريم» هو موضوع المبحث الحادى عشر، وقد ساق فيه المؤلف أمثلة للأعداد الصحيحة التى ذكرها القرآن الكريم، وكذلك كسور الأعداد، كالنصف، والثلث، والربع، والخمس، والسدس، والثمن، والعشر، كما أن من الأعداد الصحيحة المائة، والألفين، والثلاثة آلاف، والخمسة آلاف، والمائة ألف. وبعده دخل المؤلف فى الحساب العشرى، وبين الفرق بينه وبين الحساب الستينى، وذكر الدوافع لاستخدام الحساب العشرى، وأشار إلى أن تقديس بعض الأرقام مرفوض، كما أشار إلى حساب لا يدخل فى باب العلم، وإنما هو مجرد رجم بالغيب.

«الشمس» فى المبحث الثانى عشر حظيت بتفصيل مناسب شرح فيه صاحب الكتاب نقاطًا مثل: دوران الشمس، وضوء النهار ودفئه، وانسلاخ النهار من الليل، واختلاف مواعيد شروق الشمس وغروبها، وكذلك أماكن الشروق والغروب، وأقدار الشمس، وكيف أنها قنبلة هيدروجينية، وعمر الشمس، وكيف أن الشمس نجم فى مرحلة الشباب الآن، وطاقة الشمس، والأهمية الصحية للأشعة فوق البنفسجية، وهل الشمس مكورة، والدخان المبين المذكور فى قول الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ (الدخان: ١٠).

ومن «الشمس» ننتقل إلى مبحث عنوانه «من المنهج العلمى فى القرآن الكريم: الأرض وسقفها»، وبعد الحديث عن الراسخين فى العلم (آل عمران: ٧)، وضح أن الإسلام فتح آفاق العلم أمام العلماء، وصدر الوعد الإلهى بإظهار أعماق الآيات القرآنية، وأن الإعجاز القرآنى يتجدد فى عصر العلم، ورأينا فى هذا المبحث نقاطًا سبق أن وردت فى المباحث السابقة، كالسقف المحفوظ، وانخفاض الضغط بالصعود فى طبقات الجو، وفوائد الغلاف الجوى، وكروية الأرض.

وعن العروج (أو الصعود) قدمًا فى السماء دار الحديث فى المبحث الرابع عشر، وابتدأ بهندسة إقليدس، وهندسة المسارات، وكيف أن الأسفار فى الفضاء الكونى، والصعود قدمًا فى السماء كلها فى خطوط منحنية، وهو ما يعبر عنه القرآن بالعروج، فى أكثر من موضع، مثل قول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ (سبأ: ٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ

﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ (الحجر: ١٤). وامتدادًا للنص الأخير يوضح القرآن أضرار وأخطار السفر فى الفضاء، فى قول الله تعالى: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ (الحجر: ١٥). وقد حدد المؤلف هذه الأخطار فى: انعدام الوزن ـ ظلمة السماء ـ تزايد عدد النجوم فى السماء ـ الانهيار العصبى الذى يصيب رواد الفضاء ـ سقوط أشعة كونية تقتل الخلايا الحية، وهى بمثابة النار التى لا دخان لها، ثم آية النفاذ (الرحمن: ٣٣).

وفى المبحث الخامس عشر تناول المؤلف نقاطًا عديدة، مثل: تدبير جميع شئون الكوكب الأرضى، ووقاية أنفسنا من المخاوف الطبيعية، وأربعة نصوص قرآنية (الأعراف: ٩٦، فصلت: ٩، ١٠، فاطر: ٣، البقرة: ١٦٨)، ثم التعليق على كلٍّ منها، وبيان المراحل المتصاعدة لتعلم الإنسان العلم، والعلم هو السبيل لحل مشكلات البشر التى صنعوها بأنفسهم، ووسائل السفر والانتقال والحمل، فى قول الله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٨)، والتعليق على آخر جملة فى هذه الآية ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وحظيت أم النحل والنمل ومنطق الطير بمبحث خاص هو المبحث السادس عشر الذى أشار فيه المؤلف إلى تفاهم وتواصل أمم الكائنات الحية، وقصة الهدهد، وكذلك قصة النمل مع نبى الله سليمان، وهندسة بناء النمل مساكنه، ثم «النظرية الحيوية» التى تقوم على أساس أن سلوك الكائنات الحية لا تتحكم فيه مجرد قوانين الفيزياء الطبيعية، ولكن تتحكم فيه قوى خفية مجهولة لا تخضع للقانون الطبيعى.

وختم المؤلف بأن قصور العلوم الطبيعية ناتج عن قصور حواس الإنسان، ومعجزة رؤية أشياء.

أما أصل الوجود والاستدلال عليه، فهو مادة المبحث التالى، الذى وردت فيه أمور، مثل: قانون بقاء الطاقة، وقانون بقاء المادة، وسقف الأرض، وماء الأرض، ومعادن وصخور الأرض، وفكرة العدم، وبعض معانى بعض أسماء الله الحسنى، والسقف المحفوظ (الذى تكرر حديث المؤلف عنه فى مباحث كثيرة).

يستخدم القرآن الكريم كلمة «صيحة» فى ثلاث عشرة آية للتعبير عن ظاهرة موجية عاتية قد تسبب الموت الفجائى للبشر، ولم يعرف لها الناس مثيلاً إلا فى عصر العلم عندما تم تفجير القنبلة الذرية فى نهاية الحرب العالمية الثانية، إذ انبعثت عنها موجات عاتية من التضاغط والتخلخل أماتت الناس عن كثب، وبعد سرد الآيات القرآنية التى ذكرت الصيحة، قدم المؤلف بعض حقائق العلم عن الصيحة، كآثار القنابل الذرية، والضوضاء والضجيج والأزيز، وهو أشد أعداء الإنسان المعاصر، وكيف عالج الإسلام هذه الأخطار.

وبالرغم من أن «الطب الوقائى فى ضوء القرآن الكريم» يتطلب الحديث فيه كتابًا مستقلاً، فلقد عرض المؤلف منه جذاذات فى المبحث التاسع عشر، وأوضح ما ورد فى القرآن من أوامر أو تعليمات أو إشارات لحماية الناس من العلل والآفات، والانفعالات النفسية الحادة التى هى أساس لأمراض القلب القاتلة (مثل: الذبحة، والجلطة، والسكتة)، وتحريم الخمر والمخدرات، وبعض الأطعمة التى حرمها القرآن: الميتة، الدم، لحم الخنزير، ثم أورد كلامًا عن العسل، وهو الآخر يتطلب الحديث عنه مؤلفًا خاصًا، كما يجب حذفه من هذا المبحث، ليوضع فى موضوع الحلال والحرام من الأطعمة الواردة بالقرآن.

وحول (عمارة الكون) جاء المبحث العشرون، الذى استهله المؤلف بجانب من آيات التقدير (مثل: التين: ٤، الأنعام: ٩٦، الروم: ٤٨، الواقعة: ٦٩، المؤمنون: ١٨، يس: ٨٢، . . . إلخ). وكانت النقاط التى انتظمها الحديث: عناصر تكوين المادة، أنواع وعشائر عوالم الأحياء، المسافات بين الكواكب فى المجموعة الشمسية، وبين أمها الشمس، تنظيم عمليات الغلاف الجوى الأرضى، أهمية ماء الأرض، أهم ميزات الماء السائل، وتقدير الرزق.

ثم تلاه مبحث فى «الضوء والنور»، ومهد له المؤلف بنبذة عن تطور نظريات الضوء منذ عصر ابن الهيثم، وكيف ينبعث الضوء الأحمر والبرتقالى والأصفر من الجسم المادى، وتفسير ضوء النهار، وأنواع النور. وأورد ٢٧ آية قرآنية فى النور المعنوى (غير المادى)، ثم أربع آيات فى النور الحسى (المادى)، ثم آيات قرآنية وردت فيها لفظة و«أضاء» ومشتقاتها، وختم بطبيعة الضوء، والأشعة غير المرئية، وما تشير إليه الآيات

٣٨، ٣٩، ٤٠ فى سورة الحاقة: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠)﴾.

الماء مذيب عالمى، أى أنه يذيب كل المواد، ولكن بنسب مختلفة، وتتصل دراسة الماء اتصالاً وثيقًا ومباشرًا بدراسة نشوء الحياة على الأرض وغيرها من الكواكب ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ (المؤمنون: ١٨). ولم يقتصر لفظ «الماء» فى كتاب الله العزيز على الدلالة على الماء الذى نشربه أو نسقى به الزرع، أو على الماء المالح الذى يملأ بطون المحيطات والبحار، بل تعدى هذا المعنى ليدل على حالات السيولة للمادة بصفة عامة. هذا، وفى غضون هذا المبحث الثانى والعشرين، تحدث المؤلف عن تنقية الجو وتطهير الأبدان بالمطر، والصور الثلاث لماء الأرض، وماء التناسل، وما تشير إليها من آيات قرآنية.

وعلى امتداد ثلاثة مباحث، دار الحديث حول الأسلوب العلمى فى القرآن الكريم، وفى بداية هذه المباحث نطالع الهدف الأساسى للموضوع وهو دحض فكرة الصدفة فى خلق الكون، وقد تحددت مجالات الأسلوب العلمى فى القرآن، والأسلوب المنطقى وما قال به القرآن الكريم، وما ورد بالقرآن أيضًا عن اتباع الطريقة العلمية، ونبذ الخرافات، مثل: التنين الطائر كائن حى، السراب عن عمل الشيطان، تحول الناس إلى دواب بالسحر.

وفى المبحث الثانى عن الأسلوب العلمى، تحدد الأسلوب القرآنى الخاص لمعالجة بعض قضايا العلم الكونية، ثم ورد كلام عن تكوير الليل على النهار (الزمر: ٥)، دحو الأرض (النازعات: ٣٠)، إثارة الرياح للسحب (الروم: ٤٨، النور: ٤٣، الحجر: ٢٢). وهى أمثلة للركن الأول فى هذا الأسلوب القرآنى (عدم إثارة فضول غير العارفين والجاهلين). ثم ذكر المؤلف أمثلة توضيحية للركن الثانى لهذا الأسلوب (ذكر الأشياء بصفاتها)، ثم أمثلة للركن الثالث (الحديث عن معالم بعض ما يغيب عن الناس، زمانًا ومكانًا)، ثم الركن الرابع (استبعاد عنصر الصدفة). ثم المبحث الأخير فى الأسلوب العلمى القرآنى، وقد كرر فيه المؤلف كلامًا سبق أن أورده، ثم فصل فى (المذنبات).

اختصت «الرياح» بالمبحث السادس والعشرين، ونوقشت فيها ألفاظ قرآنية مثل:

عاصف، حاصب، قاصف، صرصر، إعصار. ثم جدول باسم الريح كما وردت فى القرآن، وكما يطلق عليها حديثًا، ومقياسها. ننتقل من الرياح إلى الشهب والنيازك، لنقرأ قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥)، وبين أن النور المذكور ليس الضوء الذى نعرفه، وإنما يعنى الهداية والطاعة التى التزمت بها كافة الأجرام السماوية والأرضية، بالخضوع لقوانين ونظم وضعها الخالق العظيم، ثم فصل المؤلف القول فى الشهب، وذكر الآية ٨ من سورة الجن، ثم ختم بالنيازك (وهى حجارة من السماء)، وهى الكسف المذكورة فى قول الله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ (سبأ: ٩).

وردت المباحث الثلاثة التالية فى السماء والسماوات السبع، ففى أول هذه المباحث عرض المؤلف لوجهة النظر العلمية للسماء، وما يدعم هذا من الآيات القرآنية، ولفظة «السماء» لغة، وزينة السماء الدنيا. وفى رأى المؤلف أن السماوات السبع هى:

١ ـ السماء الأولى (السماء الدنيا) وهى المجموعة الشمسية وكواكبها السيارة.

٢ ـ السماء الثانية، وهى مجرة درب اللبانة (الطريق اللبنى).

٣ ـ السماء الثالثة، وهى المجموعة المحلية، وتشمل (١٧) مجرة معروفة حتى الآن فى الفضاء الكونى.

٤ ـ السماء الرابعة، وتشمل عناقيد الدرجة الأولى.

٥ ـ السماء الخامسة، وتشمل عناقيد الدرجة الثانية.

٦ ـ السماء السادسة، وتشمل عناقيد الدرجة الثالثة.

٧ ـ السماء السابعة، وهى سماء المجرات الراديوية.

ثم جاء المبحث الثالث من مباحث السماء فى كيفية رصد إبراهيم عليه السلام السماء، والشرح العلمى للكسوف الكلى للشمس، والآيات القرآنية التى حكت القصة (الأنعام: ٧٥ ـ ٧٩).

وبأقل من نصف صفحة، ختم المؤلف كتابه بلمحة عن «سدرة المنتهى»، وهى التى تعبر عن نهاية الكون المادى.